تسهيلات عربية للتسوية الشاملة - وتشدد اسرائيلي للحزيد من التنازلات

إنهاء حالة الحرب - دويلة فلسطينية مقيدة - وتأجيل قضية القدس

ينعكس وبجلاء اكثر من اي وقت مضى ، توافق الاطراف الرسمية المعنية، على ضرورة ترتيب تسوية شاملة للصراع العربي - الاسرائيلي ، في الاستعدادات الصاخبة للمرحلة التالية في عملية تنظيم التسوية الاستسلامية . وقد سجلت الايام القليلة الماضية ، النهضة المحمومة للانظمة العربية المرتبطة بعملية التسوية، يقابلها من جهة اخرى، التحفظ الاسرائيلي الظاهر ، والحرص الاميركي على التجاوب بجرعات مدروسة . لكن يبقى الابرز ، تلك الاستجابة الفلسطينية التي سجلتها منظمة التحرير ، واكدت فيها عمليا بانها ليست في وارد الخروج من اطار هذه التسوية التصفوية للقضية ، لصالح الجبهةالوطنية الفلسطينية المقاتلة والتي من شانإقامتها وصمودها ، ومواصلةالنضال الطويل النفس وعلى كافة الاصعدة ، ان يكون عاملارئيسيا في تعديل ميزان القوى المائل في هذه المرحلة لصالح معسكر الاعداء .

على عكس الماضي القريب عندما كان المراقب السياسي العادي يبذل جهدا لكشف الثورية ، واستكشاف النوايا وفضحها ، من سلوك ومواقف وتصريحات ، وملاحقة الديبلوماسية السرية ، فان هذا المراقب العادي اليوم يكاد يغرق في خضم التصريحات والاقتراحات والاقتراحات المضادة التي تلتقيكلها عند نقطة الاستعداد الواضح للجلوس الى مائدة المفاوضات وعقد الصفقة التصفوية ، مع فارق حماسة الانظمة العربية المرتبطة بطريق هذا الحل ، وتقديمها للمزيد من التنازلات لاقناع العدو الاسرائيلي الاستجابة لطموحاتهمالتسووية.

فالرئيس المصري يعلن استعداده توقيعوثيقة رسمية بانهاء حالة الحرب مع اسرائيل ، ثم يعلن استعداده الذهاب الى مؤتمر جنيف في « وفد عربي موحد » لتجاوز «العقبة» الفلسطينية المتمثلة باستحرار رفض اسرائيل حضور منظمة التحرير للمؤتمر كطرف فلسطيني ، مستعيرا بذلك « الحل » الفذ الذي تطوعت به البلدان العربية لتجاوز مشكلة مماثلة، وضعتها الحكومات الاوروبية عندما رفضت حضور منظمة التحرير الفلسطينية كوفد مستقل في اجتماعات الحوار العربي - الاوروبي الشهيرة (!) .

لقد كان هذا التركيز على قضية التسوية السياسية في المرحلة الراهنة متوقعا منذ اتفاق الانظمة العربية الساعية لها ، على خطة وقف القتال في لبنان ، بعد اجتماع قمة الرياض . فاستنزاف المقاومة الفلسطينية في لبنان، لجمعها والمباشرة في تدجينها كان التمهيد الاساسي للدعوة التي نسمعها اليوم من اجل عقد مؤتمر جنيف الخاص بالسلام في الشرق الاوسط ، وبهدف التوصل الى تحقيق تسوية استسلامية شاملة مع العدو الصهيوني .

وتلتقي الاطراف المعنية كلها على هذه الحقيقة انظمة التسوية قالتها مواربة لكن مرارا . كان هناك وقت اعلن فيه اسماعيل فهمي بان الوقت لم ينضج بعد لوقف القتال في لبنان . وكان الصمت المتواطيء العربي كمن يؤكد هذا الكلام . وعندما حان «الوقت» بتقدير هذه الانظمة، اوقفوا القتال في لبنان بالاتفاق الذي تم في الرياض وكرس في القاهرة . وعلى الصعيد الدولي ايضا ظهرت الاعترافات باهمية حرب لبنان ضد المقاومة الفلسطينية (والحركة الوطنية اللبنانية) للانطلاق في مسعى التسوية السلمية الشاملة . فالاوروبيون يعتقدون بان « الوقت مناسب » لمحاولة جديدة للتوصل الى سلام في الشرق « لان ثمة بوادر مشجعة » هناك ، كما اعرب مستشار النمسا برونو كرايسكي ، مؤخرا . والاميركيون يعتقدون ذلك ايضا . وزير الخارجية الحالي كيسنجر اعرب عن مثل هذا الاعتقاد وبتفاؤل ملحوظ عندما قال بان « الظروف الموضوعية باعتقادنا ، للتقدم في الشرق الاوسط ، هي افضل الان مما كانت عليه في اي وقت مضى ربما منذ انشاء دولة اسرائيل . وما هو التطور الرئيسي الذي شهده العالم العربي وخلق هذه الظروف المؤاتية سوى حرب لبنان « وتسويتها » نتيجة جهود الانظمة العربية التسووية ؟

واذا كان المراقبون السياسيون في الخارج قد اعتادوا مفاجآت الرئيس المصري السخية في « تسامحها » لتذليل العقبات امام قطار التسوية الذي يستعد للتحرك مجددا من واشنطن ، فانهم سجلوا ملاحظتهم للنقلة السريعة في المواقف المعلنة في دمشق ، عندما صرح رئيس الوزراء خليفاوي ، اخيرا ، بان العام ١٩٧٧ سيكون « عام تسوية متفاوض عليها » .

■■ التوافق مع معسكر العدو

عربيا ، كانت انظمة التسوية الاستسلامية هي الداعية الى مائدة المفاوضات في جنيف . وقد استقبلت تعيين سيروس فانس وزيرا للخارجية في ادارة الرئيس كارتر العتيدة ، بحرارة وبارتياح واضح . وراح ديبلوماسي هذه الانظمة يتحدثون عن « حكمة وفعالية فانس في القضايا الخارجية » ، ومواقفه الموضوعية من الصراع العربي الاسرائيلي . واسرائيليا بدا الارتياح نفسه بالتركيز على انه من معارضي نهج الخطوة خطوة ، ومن مؤيدي الحل الشامل ، وانسحاب اسرائيل الى ما وراء حدود حزيران ١٩٦٧ مع تعديلات جغرافية طفيفة في الحدود .

اما فانس نفسه ، فانه اعتبر مشكلة الشرق الاوسط « اسهل المشاكل » المدرجة على جدول اعمال وزارته في عهد كارتر ، واعتبر « ان التسوية الشاملة لنزاع الشرق الاوسط بين اسرائيل وبين سوريا ، ومصر والاردن ، ممكنة الان ، وان جهودنا الديبلوماسية في هذه المنطقة يجب ان تمنح الاولوية القصوى ، وان علينا ان نواصل هذه الجهود حتى نجد مخرجا » .

وتجاوز توافق الاطراف على استئناف السعي لايجاد تسوية شاملة نهائية ، الى قضايامحددة. فالسادات يتعهد بتوقيع معاهدة انهاء حرب مع اسرائيل ، ويبلغ استعداده الذهاب الى جنيف في وفد عربي موحد ، ويطالب بدويلة فلسطينية مرتبطة بشكل من الاشكال مع الاردن وسوريا . ووزير الخارجية الاميركي المعين سايروس يعلن بانه يتخذ الاقتراح العربي الخاص بجلاءاسرائيل الكامل عن الاراضي المحتلة، واقامة دولةفلسطينية مقابل انها « حالة الحرب » ، كاساس معتدل لاجراء مشاورات . اما رئيس حكومة العدو رابين ، فانه يعرب عن اعتقاده بامكان ان يتمثل الفلسطينيين في مؤتمر جنيف ، ضمن الوفود العربية ، ويلوح باستعداده ارجاع اجزاء كبيرة من الارض لصالح مفاوضات من اجل مصالحة وعلاقات طبيعية مع الجيران العرب .

■■ مشروع الدويلة في المصدارة

ولقد حرص السادات على تغليف لهفة الانظمة السائرة على طريق التسوية الاستسلاميةبتضمين دعوته الى استئناف مؤتمر جنيف في اوائلالسنة الجديدة ، تحذيرا من انه اذا حدث تأخير لا مبرر له فان العرب سينطلقون الى تحرير اراضيهم. بينما اطلق وزير خارجيته فهمي ، لدعوة كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي الى الكشف عن تصور كل منهما وبتفصيل يتناول جميع جوانب المشكلة ، لتسوية سلمية في الشرق الاوسط ، وان لا يكتفيا بالدعوة الرسمية لعقد المؤتمر . وقد حرص فهمي على توضيح تحذير السادات بالانطلاق الى « تحرير الاراضي » بقوله: ان مؤتمر جنيف اذا انعقد وبذلت جميع الجهود لتحقيق السلام عن طريقه ، ثم وصل المؤتمر بعد ذلك الى طريق مسدود ، ففي رأيي لا مفر امام الحكومات العربية سوى الذهاب الى مجلس الامن لمناقشة ازمة الشرق الاوسط والوصول الى حل سلمي شامل عادل للقضية.. لكن على ان يمارس مجلس الامن صلاحياته الواضحة في ميثاق الامم المتحدة ، لا ان نكتفي بالحصول على قرار جديد يؤيد الحق العربي . وعلى ان يستمر المجلس منعقدا ، لا ينفض ، قبل الوصول الى حل شامل للازمة اي ان ينقلب مجلس الامن بعضويته الكاملة مع الاطراف المعنية ومنظمة التحرير الفلسطينية ، الى جهاز للمفاوضة . وبهذا الاسلوب يمكن التغلب على ما تحاول اسرائيل وضعه من عراقيل (!)

وقد ركزت مصر في دعوتها الى استئناف مؤتمر جنيف ، على ضرورة ان تلعب فيه منظمة التحرير دورا كاملا ، لان ذلك « امر جوهري لتسوية عادلة ودائمة » ، كما ركزت على ضرورة انشاء دولة فلسطينية ، في الضفة الغربية وقطاع غزة .

ففي مقابلة اجرتها معه مجلة « نيوزويك » الاميركية ، دعا السادات الى اقامة دولةفلسطينية في الضفة والقطاع ، ومرتبطة بالنظام الاردني وفي تقرير آخر للمجلة ، ذكر بان الانظمة العربية المعنية تلمح « لمن يهمه الامر » ، الى دولة فلسطينية مرتبطة باطار فدرالي مع كل من سوريا والاردن على اساس ان في ذلك ميزة مزدوجة من شأنها اغراء الاسرائيليين بالقبول : لان هذه الدويلة الجديدة ، وبالتالي التقليل من [illegible]

في الوقت نفسه لجم هذا « الشريك الصغير » عن التسبب في مشاكل مع اسرائيل (!) .

وكان هذا التقرير للمجلة الاميركية قد ذكر بان المجتمعين في قمة الرياض ابلغوا ابو عمار بان حلمه بفلسطين دولة علمانية موحدة هو من احلام الماضي ، ووعدوه بـ « المحاولة » لاستحصال دولة فلسطينية في الضفة والقطاع كجزء من التسوية الشاملة ، ولكنهم ابلغوه وبكلام واضح انه يتوقع من هذه الدولة الجديدة « ان تتعايش بسلام مع اسرائيل » (!)

ومع ذلك ، ورغم الصورة السياسية للدويلة الفلسطينية التي ستكون المسعى الابرز في مؤتمر جنيف العتيد والتي تجهض منطق دفاع قيادة منظمة التحرير والقائل بان التبول بالدويلة هو مكسب مرحلي ويخدم كقاعدة انطلاق امتن على طريق النضال التحريري الذي سيستمر ، رغم ذلك ، فان هذه القيادة وصلت الى مرحلة التصريح : « باننا نركز على اقامة دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة ، لان اسرائيلستنسحب منها » ، (فاروق القدومي) . و « مستعدون لاقامة نظام حكم مستقل على جميع الاراضي التي نحررها او تجلو عنها اسرائيل ... واننى ما زلت احلم بفلسطين موحدة ، ومن حقي ان احلم ، (ابو عمار) .

وضمن هذا المسعى يتم التحرك من اجل اعلان حكومة فلسطينية مؤقتة في المنفى . بينما تؤكد التقارير الصحافية احتمال الاعلان عن قيام هذه الحكومة خلال انعقاد اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني القادم ، استعدادا للمشاركةالفلسطينية في الدورة المقبلة لمؤتمر جنيف ، وتشير الى ان زيارة عرفات لبوخارست ، موسكو وبلغراد تأتي في اطار الاعلان عن هذه الحكومة ، فان قيادة منظمة التحرير كانت حريصة حتى الان ، على المراوحة بين النفي من جهة ، والاعداد النفسي لهذه الخطوة ، من جهة اخرى : ففي هذهالثائعات الصحافية من جهة ، والقول بان لا ضرورة في المرحلة الحالية انشاء مثلها لان يكون لنا حكومة لا بد من دولة » من جهة ثانية ، ولكن المجلس الوطني الفلسطيني « لديه صلاحية البحث في اقامة مثل هذه الحكومة » من جهة اخرى (!) .

وازاء هذا التهافت العربي الرسمي لتسوية شاملة فان العدو حرص على مواصلة اعتماد الاستجابة الباردة من جهة ، والتلويح بـ « مغريات » مقابل المزيد من التنازلات العربية.

فاسحق رابين في حديث للهيرالدتريبيون الاميركية ، اعرب عن اعتقاده بان الوضع الاستراتيجي لاسرائيل اليوم ، هو افضل مما كان عليه في اي وقت مضى منذ حرب تشرين ١٩٧٣ ، مشيرا الى ان اسرائيل قد اعادت بناء قواتها المسلحة الى مستوى ان خصميها الرئيسيين ، مصر وسوريا ، لن تستطيعااللحاق به قبل سنتين . وقد ابدى استعداده عقدمحادثات اما كل على حدة او في جنيف ، كما ابدى استعداده لان يتمثل الفلسطينيون فيه ولكن ضمن الوفود العربية وليس كطرف منفصل،وذلك لانه راغب في « مصالحة » جيران اسرائيل واقامة « علاقات طبيعية » معهم .

ولكنه في الوقت نفسه اعرب عن شكه في استعداد الزعماء العرب على مثل هذه الخطوة . ولهذا فانه راغب في « استكشاف فرص حالة الحرب » مع الدول العربية مقابل « اجزاء كبيرة من الارض في الضفة الغربية » ، يمكن اعادتها مقابل ذلك . كما انه اعلن بانإسرائيل لن تنسحب من هضبة الجولان لاسباب امنية الا انه استدرك بانه لا يعني التمسك بالخطوط القائمة حاليا ، مشيرا بان باستطاعته « تقديم تنازلات اقليمية » بعد ان يوقع العرب على معاهدة سلام مع اسرائيل ...

ولكن نقطة اصطدام الرغبة العربية المتلهفة لتسوية شاملة عبر مؤتمر جنيف تصطدم والاستعداد الاسرائيلي لترتيب مثل هذه التسوية عند الاصرار العربي على حل القضية الفلسطينية المقيدة سياسيا وعسكريا ، في الضفة والقطاع. بينما يرى الاسرائيليون ان الموضوع الرئيسي الذي سيكون في جدول اعمال مؤتمر جنيف ليسموضوع المناطق المحتلة ، بل : اي معاهدة سلام يستعد العرب التوقيع عليها مع اسرائيل ؟ واصرارهم على ان « افضل وسيلة لاجراء تقدم في تسوية مشكلة الشرق الاوسط هي في عقد اتفاقات ثنائية مع مصر وسوريا اولا ، ثم الانتقال الى الجوانب الاكثر تعقيدا في المشكلة، بالتفاوض مع الاردن والبحث عن حل للمشكلة الفلسطينية»، كما قال وزير الدفاع بيريز .

فمن الواضح ان « التسهيلات » العربية الرسمية للعدو الاسرائيلي تدفعه الى التشدد لاستحصال شروط عربية افضل مما اعطي حتى الان . ولهذا ورغم جدية الاقتراحاتوالاستعدادات لانظمة التسوية الاستسلامية ، من اجل «الخلاص النهائي » من المشكلة ، فان تل - ابيب اظهرت حرصها في العلن ، على التقليل من اهمية هذه التنازلات ، ووصفها بحملة سلام عربية دعائية الاغراض وتستهدف التأثير على ادارةكارتر العتيدة ، وذلك للاستفادة من الفترة القصيرة المتبقية قبل تسلم كارتر مهامّ منصبه رسميا، ودفع العرب الى تقديم المزيد من « المفاجآت السارة » . ولم يكن كلام ايغال آلون عن ان « العواصم العربية تعيد النظر في موقفها من المشكلة الفلسطينية ، وان اجتماع المجلس الوطني الفلسطيني لن يعقد في موعده المقرر » لخلافات قادة منظمة التحرير فيما بينهم « بدرجة لا تسمح بتقرير عقده » ، لم يكن مجرد اشارة الى حقيقة واقعة ، بل دفعا للانظمة الاستسلامية الى المزيد من « الاجراءات الجذرية » ضدالطرف الفلسطيني، تحسن شروط التسوية الاستسلامية التي تتهافت عليها الانظمة العربية !